

دراسات في الأدب الانكليزي

٤ - وليم وردزورث

William Wordsworth

بقلم جريس القسوس

تمتة

المركز الابتدائية

أما أبطال هذه الحركة فهم : الفيلسوف الشهير كانت في ألمانيا ، والسكردينال وسلي في بلاد الانكليز ، وروسو في فرنسا . ولاغرو في أن الأخير كان فارس هذه الحلبة وسيد زعمائها في مختلف البلدان . فقد نادى بالرجوع إلى الطبيعة ، وببساطة العاطفة على أعمال الانسان ؛ ونظريته في التربية تلخص فيما يلي : « ترك غريزة الانسان وجسمه وقواه العقلية تنمو في مجراها الطبيعي ، وذلك بنبذ قيود المدنية الحضارة ، والتقرب من الطبيعة »

وبعد مرور نحو ربع قرن على وفاة فيلسوف الثورة رجع شاعرنا بسدى صوته في إقليم البحيرات ، وأصبح حامل اللواء (الرومانتيكي) في بلاد الانكليز . وتتماز هذه الحركة بسمو مقام الرجل العادي ، فقد أصبح موضوع الأدب بدل الرجل الارستقراطي ؛ وهذه اللبزة تظهر بجلاء في قصص سرولتر سكوت ، ودكنز ، وفي معظم قصائد شعراء القرن التاسع عشر ، وتشجع هذه الحركة حب الأطفال وتقليد لهم - كما أسلفنا - أقرب إلى الفضيلة من الشيوخ . ولقد رأينا شيئاً من هذا في أشعار وردزورث ، وظهر شيء منه في نثر « لامب » وخصوصاً فصله الشهور : « أطفال الحلم » ، وفي أشعار سوتيرن أحد شعراء القرن التاسع عشر المتأخرين . وتتماز أيضاً بالولع بالحيوانات الأهلية منها والبرية ، وبحب القصص التي تدور حوادثها على الحب والحرب ، خصوصاً ما كان منها شائماً في المصور الوسطى ؛ والتي بطلها الرجل العادي لا الارستقراطي . ومن أم مظاهرها شيوع الدين والتقوى ، والتأمل والبحث في أسرار الكون ، والخروج على العادات الكاثوفة ، والتمرد على الهيئة البشرية . ولقد اتخذ الأدب سلاحاً لمحاربة سخافة الحضارة وقيودها ، ومن

أم أبطال هذا المظهر بيرون وشلي وكيتس . وتتميز هذه الحركة أيضاً بالتقرب إلى الطبيعة وانتزاع الموضوعات الأدبية منها ، والابتكار في اختيار الموضوع ، والتفنن في التخييل عنه ، لا النسخ على منوال الأقدمين كما هو شائع في العصر الكلاسيكي

وإذا ما ألقينا نظرة على شعر وردزورث ألقيناه بمثل الأدب (الرومانتيكي) أصدق التمثيل ، وما يصدق على شعره يصدق على آرائه ونزاهته ، وخاصة في مسهل جهاده الأدبي ، حينما كان من أنصار الثورة الفرنسية التي كانت عمرة فلسفة روسو بطل الحركة الابتدائية

زواجه ، كهوته ، منزهة حياته

تزوج وردزورث سنة ١٨٠٢ م من ماري هتشنسن ، من تلك العائلة التي كان يكثر من الترداد عليها . ويروي أنه أزداد أن يفتر زلته مع خديته « أنيت فالون » قبيل إقدامه على الزواج ، لهذا شرع في استرضائها بشتى الوسائل ، والظاهر أنه نجح في ذلك . والذى نلعه أن (أنيت) هذه لم تلاق جفاءً ومضناً في عيشتها ، وأن ابنتها زوجت من أحد السراة . وفي قصيدة للشاعر موضوعها « على الشاطئ قرب كاليس » يخاطب ابنته هذه ويرحم بها بكل وداد وتحنان . على أن هذه القصة لا تزال طي الخفاء ولم ينكشف لنا منها إلا الشيء القليل . والباحث في ترجمة حياة وردزورث وتحليل عبقريته يود لو أنه ذكر لنا تلك الحادثة بالتطوير شارحاً بذلك عواطفه نحوها وحبها لها قبل وبعد وقوعه في الجرم . لو فعل الشاعر ذلك لوقر على الباحث الشيء الكثير من الحسد ، ولأنار لنا هذه الناحية المهمة من حياته غير تارك بذلك مجالاً لتقول المتقولين ، وإشاعات المشيمين ولقد وجد في زوجته امرأة سامية الخلق طالية المدارك شديدة العطف والاحساس ، لا تقل بذلك عن أخته دوروثي . فلا عجب أن رأينا دوروثي تنهد إلى الراحة بعد أن أدت واجبها إلى أخيها ونحو الأدب بكل أمانة وإخلاص ، إذ رأت في امرأة أخيها خير خلف لها . ولقد خلد الشاعر اسم زوجته هذه في قصيدة موضوعها « هي مثال الرضا » She was a Phantasi of delight وفي سنة ١٨٠٨ ورده نبي أخيه يوحنا ، فقد مات غرقاً في أحد المراكب التي كان يتولى إدارتها . فكان ذلك باعثاً للحزن والأسى في نفسه . وعلى أثر موت شقيقه نظم قصيدة خالدة عنوانها « أخلاق المجاهد السعيد » The character of the Happy warrior مشيراً فيها إلى أخيه وحياة الحفاة بجليل الأهمال ؛ ولهذا القصيدة

أن ترفك إلى المركز القوي يليق بمقامك الأدبي والاجتماعي ،
مادمت في رأيها ورأى الجميع سيد الشعراء الأحياء على الإطلاق ؛
فلا ترفض هذه النعمة »

وبعد ما اطلع وردزورث على هذا الكتاب الرقيق قبل
هذا النصب السامي فتسوّج باكليل من غار ، وأمسح خاتمة ملتون
الأوحد ، ولم ينتج بعد تبوئه هذا المركز الرفيع شيئاً خالفاً ،
بل استولى عليه الخمول منذ زواجه ، ومنذ أن بدأت الحكومة
تمده بمعاش سنوي كاف . ومن القصائد المشهورة التي نظمه
بعد ذلك الأوان واحدة ضمّنها ولاءه وشعوره نحو صاحبة الجلالة
قدّمها إليها مع نسخة من ديوانه

وفي سنة ١٨٤٧ م توفيت ابنته (دورا) فجلت بذلك
وفاته . وكانت وقته في الثالث والعشرين من ابريل (في اليوم
الذي توفى فيه شكسبير) من سنة ١٨٥٠ م . وهكذا خمد ذلك
النفس الذي كان يلهب عاطفة وعطفاً على الفقراء وولماً بالطبيعة
ولقد دُفن جثمانه في كنيسة في (قراسير) - حسب طلبه -
في حضن ذلك الوادي الذي نشأ فيه وترعرع ، وبه تفتي ،
وبذكره أشاد .

ولقد أقيم له نصب تذكاري من رخام في مقبرة الشعراء في
(وست منستر أبي) محيط به أنصاب تذكارية لكبل وأرتلد
وكنجزلي وموريس ، وتتش على هذا النصب الكلمات التالية :
« لذكرى وليم وردزورث الشاعر الملهم والفيلسوف الكبير
الذي وهب عقلاً نيراً ، ولساناً غنياً ، ليتحدث إلى الطبيعة
والبشر ، الذي لم يأل جهداً في نشر الفضيلة والكمال ، والذي
تفتي وأشاد بذكر البسطاء والفقراء ، فذاع صيته بين العام
والخاص ، وأصبح رسول الحق وزبّ الشعر . قد كراه يشيد
أصدقائه والمجربون بأدبه هذا النصب التذكاري ، لينطق بنبوغته
على مدى الأيام »

الكرك - شرق الأردن مبريس القصر

مصادر هذا البحث

- 1 George Harper's *W. Wordsworth, Life, Work and Influence*
- 2 Zeitlin's *Hazlit on Eng. Literature*: ch. X
- 3 *Wordsworth's Poetical Works*: Students Camb. Edition
- 4 *Goss' English Literature*; Vol. IV
- 5 *Cazamian's Eng. Literature*; P. 1034 ff
- 6 *Oliver Elton's Survey of Eng. Literature*; Vol. II; P. 49 ff
- 7 *Moody and Leavit's English Literature*; P. 273
- 8 *Wordsworth's Preface to Lyrical Ballads*

من الشهرة ما جعل الانكليز والأمريكان يتلونها في ماتمهم ،
فيجدون في ذلك ما يمزّي النفوس ويسرّي عنها الأحزان
وفي تلك السنة أيضاً انتقل الشاعر وامرأته وأولاده الأربعة
إلى الآن برك إلى بيت رحب الفناء جميل الشكل حيث أتم
قصيده : (النزّهة) . هنالك اقترق الشاعران الصديقان كولدرج
ووردزورث ، وذلك على أثر تعريض ووردزورث بصديقه ووصمه
إياه بالجنون الناتج عن إدمانه الأفيون ، فكان لهذا أثر بليغ في
نفس كولدرج لم يطق بدمه العيش معه ، وبانتهاء صداقتهما انتهت
حياتهما الأدبية الحسنة ، ويندر أن نجد بين عيون قصائد
ووردزورث واحدة نظمت بعد ذلك الاقتراق

وفي سنة ١٨١١ انتقل شاعرنا إلى بيت مجاور لأحدى
الكنايس حيث توفي اثنان من أولاده ، إلا أنه لم يمكث هناك
طويلاً ، بل رحل سنة ١٨١٧ إلى بيته الجميل في (كدل ماونت)
حيث أتبع له أن يلقى شخصيات ذات أديب جم ومكانة اجتماعية
سامية ؛ ولقد قام رحلات شتى أهمها إلى أواسط أوروبا ، وأخرى
إلى سكوتلندا ، وعلى أثر رحلته الأخيرة نظم خمس عشرة قصيدة
تفيض بذكريات الطفولة وأحلام الشباب ، منها قصيدته المشهورة
(الحصاد المنزول)

ولقد لبث طيلة هذه المدة مكثوم الفؤاد ، حزين النفس ، لما
حل به من المصائب والويلات المديدة ، ولما كان يلاقيه من جفاء
وخصومة في الأوساط الأدبية . غير أنه حديث في سنة ١٨٣٩
ما طيب نفسه وسرى عنه شجونته وهمومه ، وشجته في مبدئه ،
فقد عرفه كيبيل Keble أحد كبار أسانذة كبرج إلى إحدى
الشخصيات الكبرى في البلاط ، وأشاد بذكره أمام ذوى
المناصب السامية ، فذاع صيته بين الخاص والعام ، وأحرز مركزاً
رفيعاً في الأدب لا يقل عن مركز بلتن

وفي سنة ١٨٤٢ منحت الدولة مرتباً سنوياً مقداره ٣٠٠
جنيه تشجيعاً ومكافأة له ؛ وبعد موت روبرت سذى سنة ١٨٤٣
عرض عليه منصب شاعر الدولة ، فرفضه في بدء الأمر بلوغه
الرابسة والسبعين ، وقيل لأنه رأى صعوبة وعناء في نظم قصيدة في
كل سنة يلقيها في عيد ميلاد الملكة كما جرت العادة قبله ، غير أن
رئيس الوزراء سر روبرت بيل عاد وبمث إليه بكتاب تقطف منه ما يلي :
« لما كانت صاحبة الجلالة توليك ثقتها الغالية فبادر بقبول
هذا المنصب ، وكن عند أملها فيك . وإنما لتتوخى بعلمها هذا